شعراء النصرانية بعد الاسلام

شعراء النصرانيّة في عهد الدولة العباسيّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

١٣ صاعد بن شمّاس

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ ورد ذكر صاعد بن شمّاس في رحلة ابن بطلان ومنهُ نُستدل على زمانهِ وعلى دينهِ ووطنهِ . وقد مرَّ بك انَّ ابن بطلان عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . امَّا ما قال عنهُ ابن بطلان فورد في معجم البلدان لياقوت (٢ : ٣٠٧) في مادَّة « حلب » قال ابن بطلان : «وفيها (اي حلب) كاتبٌ نصرانيّ لهُ في قطعةٍ في الخمر اظنه صاعد بن شمّامة (كذا)»

خانت صوارم أيدي الازجين (١ بها فأبتْ جسمها دمًا من الحَبَبِ

فقوله « صاعد بن شمّامة » قد اصلحهُ ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦ : ٤٧٦) ودعاهُ « صاعد بن شمّاس » ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها « ابو زياد لصاعد » دون زيادة في التعريف ولعلّها لصاعد آخر غير ابن شمّاس فظنّ ناشر الكتاب انها لهُ . فنرويها هنا على علّاتها وهي واردة في مادَّة « قَرينة » اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

ألا يا صاحبيَّ قِفا قليلًا على دار القدور فحيّاها

ودارٍ بالشُّمَيط فحيّيا بي ودارٍ بالقَرينة فاسألاها

سقتها كلُّ واكفةٍ هتونٍ تَرَجّيها جَنوبٌ او صَباها

فدارُ القدور والشُّميط والقُرينة كلّها امكنة في البرّيّة . وهذا غاية ما عرفنا عن صاعد المذكور

(١ كذا في الاصل بالحاء ولعلّها «الازجين» بالجيم

١٤ عون الراهب

﴿ زمانهُ وشعرهُ ﴾ ورد ذكرهُ في كتاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي اسحاق الحصري القيرواني فاستدللنا بذكره فيهِ انهُ كان من ادباء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى لعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردًّا على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصرية على هامش عقد الفريد لابن عبد ربهِ (٢ : ٨٤) وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غلطَ الذين رأيتهم بجهالةٍ ... يلحون كلَّهُم غراباً ينعقُ

ما الذنبُ إلَّا للأعاير انهـا ... مما يُشتُّ جميعهم ويفرّقُ

انَّ الغراب بيُمنهِ تدنو النوى ... وتُشتِّتُ الشملَ الجميعَ الأينقُ

وقد بحثنا كثيراً في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف لعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مَرْغَر الاشبيلي

﴿ زمانهُ ودينهُ ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمهُ على صور شتى فيُروى ابن مَرْغري وابن المرغوي وابن المزعري وابن المَرْبيّ . والصواب ما ذكرنا . كان في ايام الملك ابي القاسم محمّد الملقّب بالمعتمد بن عبّاد وهو آخر ملوك العبّاديين في اشبيلية حاضرة الاندلس ملكَ من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤هـ (١٠٦٨—١٠٩١م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شكَّ في الامر

﴿ اخبارهُ وشعرهُ ﴾ اخبارهُ قليلة وجدنا منهـا شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربّة الشرقيّة . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمسلوك في

طبقات الشعراء (Ms de Leide, 834, II p. 288) للملك المنصور امير حماة المتوفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠م) قال (ص ٢٤٧–٢٤٨) : «ابن مرغر من نصارى الاندلس من اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عبّاس شهاب الدين احمد بن يحيى بن الفضل العمري في كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني مُجيدٌ على ما عُرف من مُدامه ، وعُلم منهُ من جهلٍ ما فاكَ عنهُ فِدامه ، وقد تردّى القلب (١ وهي عِماد ، وتنطّق الاوتاد وهي جماد ، وتُضيءُ النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامةُ وهي عجماء قد تسجَعُ ، والغمامة وهي طُلّةٌ تُستنجَع »

ثمّ انشد لهُ يصف كلبَ صيدٍ . وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٤٩٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهدى كلبة صيد للمعتمد بن عبّاد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أرَ مَلهًى لذي اقتناصٍ (٢ ومكسباً مُقنِع الحريصِ
كمثل خطّارِ ذاتِ جيدٍ أتلعَ في صفرة القميصِ (٣
كالقوس في شكلها ولكن تنفذُ (٤ كالسهم للقنيصِ
ان اتخذ أنفها دليلاً دلّ على الكامن العويصِ
محبوكةُ الظهر لم يَخبهُ خوف بطن لها خميصِ (٥
لو انها تستثير برقاً لم يجد البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأميلهُ (٦ بودٍ سَفعَ القياساتِ بالنصوصِ

وقد روى لهُ عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

١) كذا في الاصل . ولعلّ الصواب تروّى القُلُب وهو جمع قليب اي البئر وتروّى كمثل رَوِيَ ٢) ويروى : لدى اقتناص
٣) ويروى : كمثل خطّاء . . اتلع مصفرّة . واتلع عن صفرة
٤) ويُروى : ينفذ ٥) ويروى : لم يخنهُ . . بها
٦) ويروى : تنويلهُ

(Ms de Paris, n° 3330, fol. 175r, de Londre, 574) غيرها من الابيات.
منها قولهُ في المديح (من الكامل) :

واللهُ اكبرُ انت بدرٌ طالعٌ والنَّقعُ(١ دجنٌ والكماةُ نجومُ
والجُرْدُ افلاكٌ وانت مُديرها وعدوُّك الغاوي وانت رجومُ(٢

وقال في قوم بات عندهم فلم يرتدوا لهُ سراجاً (من البسيط) :

نزلتُ في آل مكحولٍ رضيفهمُ كنازلٍ بين سمع الارض والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ

وقال يمدح كريماً رطَّب لسانهُ بكرمهِ وشحذ قريحتهُ في مديحهِ (من البسيط) :

انطقتني بالنَّدى حتى سرى نَفَسي كما تنفَّس في الأنداء رَيحانُ
وغاص في بحر نعماك المحيطِ بهِ فهذهِ دُرَرٌ منهُ ومَرْجانُ

١٦ زَبينا النصراني

زمانهُ وشعرهُ زبينا اسم سرياني بمعنى الَبيع والمملوك. كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. ذكرهُ الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ٥٠٢هـ ١١٠٨م) في كتابهِ محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء وروى لهُ شعراً (١: ١٩٦) في باب الرجل المعروف بكثرة المساوئ بعد ذكره لقول الاخطل :

قومٌ تناهى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلُّ مخزيةٍ سُبِّتْ بها مُضَرُ

قال زبينا النصراني (من البسيط) :

لي صاحبٌ لستُ أُحصي من محاسنهِ شيئاً صغيراً ولا تُحصى مساويهِ(٣

١) ويروى : والنقع بالفاء.
٢) ويروى : والجودُ . . . ومنْ رجوم
٣) في الاصل : احصي. وهو غلط لاختلاف القافية

وليس فيهِ من الخيرات واحدةٌ واكثرُ السوء لا بل كلُّهُ فيهِ

وقد نقَّبنا عن زبيدا هذا لنعرف شيئاً من اخبارهِ فلم يُجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعضَ مقاطيع اشعارهم الراغبُ الاصفهاني في كتابهِ «محاضرات الادباء» وبهِ عرفنا زمانهُ اي انهُ من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد لهُ ذكراً ولعلَّهُ هو زبيدا السابق ذكرهُ فيكون اسمهُ مصحَّفاً. امَّا ما رواهُ عنهُ فهو بيت مفرد ذكرهُ في باب «المغالاة بما لا يقلّ وجودهُ» (١ : ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط) :

وكلّ شيء غلا او عزَّ مطلبهُ مُسترخصٌ ومُهانُ القدرِ إن رخصا

١٨ سعيد النصراني

﴿زمانهُ وشعرهُ﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليهِ الراغب الاصبهاني في محاضراتهِ فأفادنا انهُ عاش في زمانهِ اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً امَّا شعرهُ فلم يرِد منهُ الَّا ثلثة ابيات في باب «مزاورة الحبيب وملاقاته والنظر اليهِ» (٢ : ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف) :

وعَد البدرُ بالزيارةِ ليلاً فاذا ما وَفَى قضيتُ نذوري
قلتُ : يا سيِّدي ولِمْ تؤثر الليـ ـل على بهجة النهار المنيرِ
قال : لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدورِ

وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفَّق الى معرفة شيء من اخبارهِ في سائر الكتب التي راجعناها (الى صلة)